الفلسطيني على وجه الخصوص التي يمكن ان تعبر ما نقطة البدء ؟ ففي تحليلات المنظمة للمقاومة ترى انها لا تتعدى كونها حركة تحرر وطني بقيادة البرجوازية الصغيرة من جهة وانها تظل محصورة ضمن نطاق الاطار القومي من جهة ثانية . ان المنظمة تقرر بأن الكفاح الفلسطيني المسلح غير قادر على هزم العسكرية الاسرائيلية بمفرده حتى لو تهيأت التحولات المطلوبة داخل المقاومة الفلسطينية وتبنت الثورة الفلسطينية خطا ثوريا اشتراكيا يدعو ويعمل من اجل الثورة الاجتماعية والسياسية على مستوى المنطقة . وبناء على ذلك فانها ترى ضرورة العمل من اجل ايجاد حركة او جبهة ثورية على مستوى المنطقة تأخذ على عاتقها مهمة تحريض الجماهير وتثقيفها وتعبئتها من اجل احداث التغيير اللازم الكفيل بالقضاء على المصالح الامبريالية وعملائها في المنطقة بما في ذلك النظام الصهيوني . على ضوء هذه الصورة التي رسمتها المنظمة للواقع الشرق اوسطي حاليا نستطيع ان نفهم الصعوبات التي تواجه المنظمة خلال عملية التحريض السياسي التي تقوم بها ، كما واننا نستطيع ان « نتفهم » الهوة او الفجوة بين الهدف الاستراتيجي الذي تضعه المنظمة وبين انعدام وجود برنامج عمل واضح لتحقيق هذا الهدف . اذا اخذنا بعين الاعتبار تحليلات المنظمة للمجتمع الاسرائيلي التي تخرج بأن التناقض الاساسي في هذا المجتمع يختلف عن المجتمعات الرأسمالية الكلاسيكية ، بمعنى ان هذا التناقض هو تناقض خارجي، تتضح لنا اهمية وجود الشريك في الجانب العربي ، لان اي برنامج عمل يتعدى النضال المطلبي في الجانب الاسرائيلي يصبح غير ذي جدوى حتى على المستوى السياسي — اي قبل تصعيده الى المرحلة الارقى — اذا لم يتوفر الشريك في جانب الاغلبية اي الجانب العربي . على ضوء هذا الواقع السياسي نستطيع ان نفهم عدم قدرة اي تنظيم « ثوري » مثل المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية على اختراق الحاجز الاكاديمي والتحول الى تنظيم سياسي جماهيري . اما في القطاع العربي فتجابه المنظمة عائقين يحدان من فعاليتها وامكانية قيامها بالتحريض السياسي بين الجماهير العربية . هذان العائقان يتمثلان بقوتين سياسيتين مختلفتين هما السلطة وجهازها البوليسي والحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكاح ».

فالسلطة بجهازها القمعي المتمثل في الاستخبارات والشرطة ، تقف بالمرصاد لكل تحرك سياسي او تنظيمي (حتى لو كان ثقافيا) اذا كان لا يسيطر عليه اعوانها . لقد كانت السياسة الرسمية للسلطة تجاه العرب في اسرائيل وما زالت تهدف الى عزل هذه الجماهير وابعادها عن مجريات التطورات السياسية وغير السياسية في العالم العربي ، لذلك كانت تشجع على الدوام تلك العناصر التي تنادي بالواقعية والى ربط مصير العرب بمصير الدولة . لقد ايدت السلطة تلك العناصر ودعمتها وجعلت منها ممثلين ينطقون باسم العرب بشتى وسائل الضغط والارهاب ، مستغلة الناحية الاقتصادية حيث ان مصير السوق والايدي العاملة العربية متوقف على الجهة اليهودية التي تتحكم بالانتاج وتصريفه . يضاف الى العامل الاقتصادي العامل النفساني الذي استطاعت اجهزة الاعلام الصهيونية غرسه في نفوس الجماهير العربية مما ادى الى بروز تيار لا يؤمن بجدوى النضال حتى على مستوى النضال المطلبي الذي تكفله القوانين في اسرائيل . بل يميل هذا التيار ويتبع اسلوب تحاشي الاحتكاك بالسلطة ، بمعنى عدم التعرض للامور السياسية الداخلية منها والخارجية ، والانطواء على الذات ومحاولة حل المشاكل بشكل فردي عن طريق الوساطة . ان السبب المركزي والرئيسي الذي ادى الى هذا الوضع هو حالة الجمود التي اصابت القضية الفلسطينية منذ حرب ١٩٤٨ ، هذه الحالة الناتجة عن الوصاية التي فرضتها الانظمة العربية على الشعب الفلسطيني . لذلك فالعرب الذين لم يغادروا البلاد يمكن تقسيمهم على ضوء ما ذكر الى قسمين : الاول قبل بالامر الواقع وربط مصيره بمصير الدولة وهو يتماثل كليا مع الخط الرسمي للسلطة . والثاني رفض التخلي عن ذاته ولكنه مع مرور الايام والسنين وقع فريسة للاوهام التي زرعتها اجهزة الاعلام التابعة للانظمة العربية ، هذه الانظمة التي تجاهلت وجوده في الداخل ، وجعلت من نفسها وصيا على القسم الموجود منه خارج فلسطين . لذلك كان هذا القسم من العرب الموجودين في الداخل ينتظر خلاصه على أيدي الجيوش العربية ، ولم يشعر يوما ما بأنه مطالب بموقف يتعدى موقف المتفرج . هذا القسم من السكان العرب في اسرائيل يشكل القاعدة